فوائد وقوع الأعراض البشرية بالأنبياء

تقدم أن الأنبياء بشر، يقع عليهم من الأعراض البشرية كالابتلاء والمرض والنسيان والفقر... إلخ، ما يقع على سائر الناس، إلا أن لوقوع هذه الأعراض بالأنبياء فوائد تتلخص بما يأتي:

١ ـ تعظيم أجورهم:

فالبلاء والأمراض يترتب عليه الأجر العظيم، لهذا قال النبي ﷺ: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل**»[(١)].

وقال الإمام القُشَيْري: ليس كل أحد أهلاً للبلاء، إذ البلاء للأولياء، وأما الأجانب فيتجاوز عنهم، ويخلي سبيلهم.

٢ ـ التشريع:

فسهو رسول الله ﷺ في الصلاة تشريع للناس، وتعليم لهم كيفية سجود السهو، لأن دلالة الفعل أقوى من دلالة القول.

٣ ـ تسلي غير الأنبياء بأحوالهم إذا نزل بهم ما نزل بالأنبياء:

فإذا نظر العاقل في أحوال الأنبياء، من مرض وأسقام، وقلة مال، وأذى الناس لهم، مع علو مقامهم ورفعة شأنهم، فإنه يتسلّى ويتصبّر، فلم يحزن على ما نزل به من بلاء.

٤ ـ تنبيه غير الأنبياء على خسة قدر الدنيا عند الله تعالى، حين يرون الأنبياء قد أعرضوا عنها، وانصرفوا عن ملاذها ومغانمها.

وذم الدنيا الوارد في بعض النصوص، إنما هو في الدنيا الشاغلة عن الله تعالى، وعليه يحمل قوله ﷺ: «**ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم**»[(٢)] أي: من التسبيح والتحميد والتهليل.

أما الدنيا التي لم تشغل عنه فلا ذم فيها، بل هي محمودة، وعليه يحمل قوله ﷺ: «**نِعْمَ الدنيا مطيةُ المؤمن، بها يصل إلى الخير، وبها ينجو من الشر**» وبذلك يعلم: أن الدنيا ليست محمودة، ولا مذمومة لذاتها[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد والبُخاري والتِّرمذي وابن ماجة عن سعد، وهو صحيح الجامع الصغير ٤٢/١.

(٢) أخرجه التِّرمِذي ـ كتاب الزهد ـ باب الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله أو عالم متعلم. ج٧ ص٨٠.

(٣) الدَّردير على الخريدة ص١٠٩ ـ ١١٠ والصاوي عليه والبيجوري على السُّنوسية ص٤٤ ـ ٤٥.

الإيمان بالأنبياء والرسل

الإيمان بالأنبياء والرسل جميعهم وتصديقهم في أخبارهم وطاعتهم في أوامرهم ونواهيهم فرض على كل مسلم[1] بدلالة القرآن الكريم:

أ ـ قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

ب ـ وقال سبحانه: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

جـ ـ وجعل للذين يؤمنون بالجميع الأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٢].

❋ ❋ ❋

عدد الأنبياء

قدّر الله تعالى ما يحتاج إليه الناس بمجموعهم من المواهب والكفاءات المختلفة التي تهيىء لهم الحياة الرغيدة والعيش السعيد، فوزّعها بين الأفراد بناء على حاجتهم إليها، فرجال الجيش ـ وهم أصحاب القوة والأجسام الشديدة ـ والنجّارون والحدّادون والزرّاعون وأصحاب المهن كثيرون جداً، بينما يقل عدد ذوي الكفاءات القيادية أو العلمية، ويهبط عدد مالكي المهارة والحذق في لون معين، ويتضاءل عدد مالكي قيادة العالم الفكرية وأصحاب الهداية إلى سواء السبيل وهم الأنبياء والرسل، لأن أعمالهم تغني البشر إلى أجيال طويلة.

فلو أخذنا بحديث الأنبياء وهم (١٢٤٠٠٠) نبي، والرسل منهم (٣١٣) رسولاً. نرى العدد ضئيلاً جداً بالنسبة لأمم العالم جميعاً من بدء الخليقة إلى زمن الرسول محمد ﷺ، ولا يقاس إلى تلك الأجيال المتعاقبة[2].

لكن ينبغي في الإيمان بالأنبياء القطع بحصرهم في عدد معين، لأنه:

---

(١) لوامع الأنوار ج٢ ص٣٦٣.

(٢) مبادىء الإسلام ص٣٣.

١ ـ لم يرد بحصرهم دليل قطعي من القرآن، والحديث الوارد[١] في عددهم ضعيف، وهو: خبر واحد، لم يقترن بما يفيد القطع، وخبر الواحد لا يفيد إلا الظن، ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات.

٢ ـ وقد يؤدي حصرهم بهذا العدد إلى أن يعتبر فيهم مَن ليس منهم أو يخرج مَن هو منهم[٢].

لكن القرآن الكريم ذكر أسماء خمسة وعشرين وهم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، وأيوب، وذو الكِفل، وموسى، وهارون، وسليمان، وداود، وإلياس، واليَسَع، ويونُس، وزكريَّا، ويحيى، وعيسى، ومحمد ﷺ.

❋ ❋ ❋

تكذيب الأنبياء أو تنقيصهم كفر

وهم جميعاً يشتركون في قدر واحدٌ وهو: النبوة والرسالة.

ولذا اتفق علماء الإسلام جميعاً على كفر مَن كذّب نبياً معلوم النبوة، وكذا مَن سبّ نبياً أو انتقصه، ويجب قتله بدلالة القرآن الكريم:

---

(١) في مسند أحمد ﷺ من حديث أبي ذَرّ ﷺ: قلت: يا نبي الله كم عدد الأنبياء؟ قال: «**مئة ألف وأربعة وعشرون، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيراً**».
ورواه الطبراني في المعجم الكبير بلفظ «**وأربعة وعشرون ألفاً**» وهي مصرحة بما أُبهم في رواية أحمد.
ومدار الحديث على علي بن يزيد وهو ضعيف. المسامرة ص٢٢٦.
وله لفظ آخر في صحيح ابن حِبَّان، وعدد الرسل فيه «**ثلاثمائة وثلاثة عشر**» /لوامع الأنوار ج٢ ص٢٥٨.
وتكلم فيه ولي الدين العراقي، وردّ على ابن حِبّان جماعة من الحفاظ، لإدخاله هذا الحديث في الصحيح/ لوامع الأنوار ج٢ ص٢٦٤ وللحديث ألفاظ أخرى بأسانيد أخرى من مسند أحمد والبزار والطبراني في الأوسط الذي ذكر في مجمع الزوائد،/ المسامرة ص٢٢٦ وذكر ابن قُطلوبُغا الخبر عن روائه إسحاق بن راهَوَيْه وابن أبي شَيْبَة ومحمد بن أبي عمر وأبي يَعْلى/ ابن قُطْلوبُغا على المسايَرة ص٢٢٥.

(٢) شرح المقاصد ج٢ ص١٩٨ وشرح العقائد النَّسَفية ص١٣٥ ـ ١٣٦ والمسايَرة والمسامَرة عليها ص٢٢٥ والدُّرَيْر على الخريدة ص١١٩ ولوامع الأنوار ج٢ ص٢٥٨.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١][1].

❋ ❋ ❋

مهمة الأنبياء
وبعثتهم إلى أمم العالم جميعاً

الأنبياء والرسل هداة البشر إلى الصراط المستقيم، وأهل المبادىء التهذيبية التي عالجت المشاكل المادية والروحية يبشرون بالجنة أهل التقى، وينذرون بالنار أهل الفساد والكفر، ويبينون للناس ما يحتاجون إليه من أمور الدين والدنيا.

وقد أرسلهم الله تعالى إلى أمم العالم جميعاً، فكل أمة لها رسول، وإن لم يخبرنا الله بأسمائهم بدلالة قوله تعالى:

أ ـ ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

ب ـ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

جـ ـ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩].

هذه النصوص جميعاً تدل على أن بعث الأنبياء لا ينحصر في أمة معينة، أو مكان معين كالجزيرة العربية.

❋ ❋ ❋

القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى

أصول الرسالات السماوية وعقائدها وهدفها واحد، وهو: توجيه البشر إلى طريق الصلاح.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا

(١) لوامع الأنوار ج٢ ص٢٦٣.

بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وقال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

ولذلك طلب القرآن الكريم الإيمان بجميع الرسل، وما أُنزل عليهم من كتب ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤].

لكن الإيمان المطلوب شرعاً بالكتب السماوية - ومنها الإنجيل والتوراة والزبور - إنما يراد به التصديق بأن هذه الكتب كانت من عند الله تعالى، وكانت صادقة، وما جاءت إلا للغرض الذي جاء لإتمامه القرآن. فما جاء بها مخالفاً لما في القرآن الكريم فهو مُحرَّف قطعاً، لا يعوَّل عليه.

وهنا لا بد أن نبيّن أهم فروق القرآن الكريم عن الكتب السماوية لما يأتي:

١ - الكتب التي نزلت قبل القرآن ضاعت نُسخُها الأصلية، ولم يبقَ منها إلا ترجمتها.

أما القرآن فهو محفوظ بلفظه وبكلماته التي أنزلها الله تعالى على نبيه محمد ﷺ، ووصل إلينا بهذا الشكل متواتراً.

٢ - اختلط كلام الناس من فقهاء أو مفسرين أو مؤرخين بتلك الكتب. أما القرآن فلم يختلط به شيء حتى من كلام رسول الله ﷺ. ولقد منع النبي ﷺ من كتابة الحديث في بداية نزول القرآن، لئلا يختلط الحديث بالقرآن. وكتب التفسير والحديث والفقه مستقلة تماماً عن القرآن، كما هو معروف.

٣ - لم يستطع أحد أن يثبت باستناد تاريخي أنّ أياً من هذه الكتب الموجودة الآن نزل على النبي الذي نسب إليه ذلك الكتاب، كما لم يمكن تعيين الزمن الذي نزل به.

أما القرآن فالتاريخ قاطع بشواهده أنه نزل على محمد ﷺ وأن آياته منها ما عين مكان نزوله أو زمنه أو سببه.

٤ - لغات الكتب السماوية القديمة اندرست منذ زمن طويل، فلم نجد متكلماً بها، بل إن مَن يفهمها قليل جداً.

أما لغة القرآن الكريم فهي لغة حية يتكلم بها إلى الآن مئات الملايين من المسلمين في أقطار العالم المختلفة.

٥ - أحكام كل من الكتب القديمة - كما يبدو من قراءتها - خاصة بالزمن وبالأمة التي نزل فيها ذلك الكتاب، جاءت تلبية لحاجاته ووفق أحواله.

في حين أن أحكام القرآن عامة لجميع الناس ولكل زمن.

٦ ـ كل من الكتب القديمة وإن كان فيه من الدعوة إلى الخير والصلاح والأخلاق، فإنه لم يستوفِ الفضائل.

لكن القرآن استوفى الفضائل كاملة، سواء نص عليها في الكتاب القديم أم لم ينص.

٧ ـ تسرب إلى كل من الكتب القديمة التحريف[١] والأمور التي لا توافق العقل، وتقوم على الظلم، بل تحوي أموراً من قبيل الفحشاء والمنكر.

أما القرآن فإنه صلاح كله ومنزَّه عن الفاحشة وليس فيه ما يخالف العقل[٢].

٨ ـ الشرائع القديمة اختصت بالعلاج الروحي، أما الشريعة الإسلامية فقد وضعت المبادىء الكفيلة بحلّ مشاكل الإنسان وتلبية حاجاته المادية والروحية في كل زمان ومكان.

هذه المزايا هي التي لأجلها أمر الناس باتباع القرآن وحده دون سواه.

❋ ❋ ❋

المطلب الثاني
مستلزمات النبوة

صفات الرسل والأنبياء

جبَلَ الله تعالى بعض الناس على مواهب معينة كالقوة والشعر والفنون... يتفوق بها على الآخرين، ووهب الأنبياء والرسل الكفاءة العالية لقيادة الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، لذلك امتازوا بصفات فيها جميع خصال الخير، بعيدة عن جميع النقائص التي لا تليق بهم.

هذه الصفات هي:

---

(١) انظر الفصل الذي كتبه العالم الجليل رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) الذي أثبت فيه تحريف الكتب السماوية التي سبقت القرآن.

(٢) انظر مبادىء الإسلام للسيد أبي الأعلى المودودي ص٨٠ ـ ٨٤.